إمكانية مكافحة الفقر
بالتمكين الاقتصادي وبأدوات تمويل إسلامية

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

www.kantakji.com

لقد لفتت نظري عبارات عديدة احتوتها ورشة عمل سأستعرضها سريعا بغية الاستفادة منها فيما سأعرضه.

الفقر والبطالة: هما حلقة مفرغة يصعب الخروج منها إذا أحكمت حلقتها، وقد ينجم الفقر عن أزمات طارئة، وقد يكون مجرد حالات فردية.

وعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثر وقوع الأزمات عندما ألمّ عام الرمادة أو المجاعة في مجتمع المدينة المنورة فاختار حلاً اجتماعياً اقتصادياً بأن عمل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (طعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية فاجتمعوا عليه ولا تتفرقوا عنه) رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنه. وقد اقتبس عمر رضي الله عنه ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما هاجر المسلمون إلى المدينة فتضاعف عدد سكانها بشكل مفاجئ فكان الحل اجتماعي اقتصادي بأن آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار.

مكونات الأسرة: تتكون الأسرة عادة من أب وأم وأولاد بالغين وغير بالغين. والمستهدفون هم البالغون القادرون على العمل لأن لغيرهم حلولاً إسلامية أخرى، وهذا من شمولية النظام الاقتصادي الإسلامي.

الأسر المنتجة: هي الأسر التي يُفترض أن لديها بُنىً تحتية يمكن توظيفها، كالأفراد ممن هم متعلمون أو ذوو أصحاب مهن أو ما شابه.

التشغيل الذاتي: يُقصد بها عمل الأسر المستهدفة كوحدات مستقلةٍ اقتصادياً أي إنتاجياً أو تسويقياً أو إدارياً.

التمكين الاقتصادي: ويكون بتحقيق المستلزمات والموارد اللازمة للقيام بأعمال منتجة نافعة. وسوف نستعرض التمكين وأدواته من خلال حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم،

فقد روى أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: "لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟" قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَدَحٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ. قَالَ: "ائْتِنِي بِهِمَا". قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا. فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: "مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟" فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: "مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟" مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: "اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ". فَفَعَلَ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَشَدَّ فِيهِ عُودًا بِيَدِهِ وَقَالَ: "اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا". فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ. فَقَالَ: "اشْتَرِ بِبَعْضِهَا طَعَامًا وَبِبَعْضِهَا ثَوْباً"، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ".

وبدراسة هذه الخطَّة الحكيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وهو الأسوة الحسنة) في مكافحة البطالة نجد أنه قد طَلب من العاطل عن العمل الآتي:

1. أن يقدِّمَ شيئاً يصلُح للبيع أي طلب منه المشاركة في التمويل.
2. عندما لم يكن ما قدَّمه كافياً طلب من جماعة المسلمين المساهمة دون إحراجٍ بطريقة البيع بالمزاد العلنيِّ ليحصِّل أكبر قدْر ممكنٍ لثمن بضاعته كي يؤمِّن التمويل الذي يكفيه للقيام بعمله.
3. وثِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجل فأعطاه قيمة أصوله التي بيعت ليتدبَّرَ أمرَه بالشكل الذي سيرسمه له، لأن الفقر ليس مرضاً أو أمراً معيباً.
4. طلب صلى الله عليه وسلم منه أن يكفيَ عائلته أوَّلاً، وهنا يتَّضح أنَّ الجانب الاجتماعيَّ مقدَّمٌ على ما سواه، وعلَّمه الاقتصاد بضرورة توجيه قسمٍ من الثروة نحو الاستثمار وذلك بشراء الأصول المنتجة (كالحبل والفأس).
5. طلب صلى الله عليه وسلم منه شراء أدوات ولوازم العمل، ولم يقم هو أو أحدٌ من أصحابه بذلك.

6. ساعده صلى الله عليه وسلم في تجميع أدواته لتصبحَ أكثرَ جاهزية للعمل بأن شدَّ عوداً بيديه الشريفتين، وهذا يفيد بتجهيز بيئة العمل اللازمة من قبل أولياء الأمور.
7. علَّمه الدَّورة الاقتصادية: وذلك بتحويل أصوله إلى سيولةٍ نقديةٍ مكَّنته من شراء أدواته الإنتاجية ثم طلب منه العمل وبذْلَ الجهد (بقوله اذهب) ثم علَّمه التحويلَ الصناعيَّ (بقوله احتطب) ثم تحويلَ البضاعة إلى نقدٍ بالبيع (بقوله بِع).
8. أعطاه مهلةً زمنيةً معقولةً لمعرفة جدوى هذا العمل وما سيعود عليه من نفع، وهذا هام جداً في تقييم نتائج العمل من قبل أولياء الأمور لحنكتهم وحسن تدبيرهم.
9. بعد التدقيق في نتائج العمل والحكم بأنه نافعٌ ومُجْدٍ نصحَه ومدحَه وشجَّعَه.
10. حذَّره من السؤال وبيَّن له أنه لا يجوز إلَّا لثلاثة نفرٍ: ذي فقرٍ مدقعٍ أو غرمٍ مفظعٍ أو دمٍ موجعٍ.

لقد رأى صلى الله عليه وسلم بحكمته كوليِّ أمرٍ أنَّ الاحتطابَ يناسب جسم هذا الرجل وفِكرَه فنصحه بأن يحتطب، ولو رأى غير ذلك لنصحه بعملٍ آخر. مما يدلُّ على أنَّ وليَّ الأمر يترتب عليه:

1) تهيئة فرص العمل الحلال.
2) تأمين الفرص البديلة في حال فشل الفرص السابقة.

إذن يتضح مما سبق أهمية ودور المخططين والقائمين على معالجة أمور العاطلين عن العمل، فهم ناصحون وحريصون على نفع الناس الذين عُهد إليهم أمر استنقاذهم مما تعوذ منه صلى الله عليه وسلم أي الفقر لبيان شدة بأسه. لذلك لا ينبغي لأولياء الأمور أن يؤمِّروا على تلك المؤسسات الراعية لشؤون العاطلين عن العمل من ليسوا كفؤاً للقيام بشؤونهم ورعاية أمرهم، فقد روى أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَداً مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ، وَمَنْ أَعْطَى أَحَدًا حِمَى اللهِ فَقَدْ انْتَهَكَ فِي حِمَى اللهِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ أَوْ قَالَ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ".

وقد سأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحدَ وُلاته: ماذا تفعل إذا جاءك سارقٌ؟ قال: أقطع يده. فقال عمر: وإذا جاءني منهم جائعٌ أو عاطلٌ عن العمل فسوف يقطع عمر يدك. إنَّ الله قد استخلفَنا على عباده لنسُدَّ جوعتهم ونسترَ عورتهم ونوفِّرَ لهم حرفتهم. فإذا أعطيناهم هذه النِّعمَ تقضَّيناهم شكرها. يا هذا إن الله خلق الأيديَ لتعملَ فإذا لم تجد في الطَّاعة عملاً الْتمَسَت في المعصية أعمالاً، فاشغَلْها بالطاعة قبل أن تَشغَلَكَ بالمعصية".

أخيراً

يجب الأخذ بعين الاعتبار تخطيط التمكين بإحصاء العاطلين ومعرفة مهاراتهم ثم وضع خطط تكاملية لإنتاجهم يراعي مدخلات ومخرجات كلاً منهم على أمل تحقيق خطوط إنتاج ولو كانت صغيرةً، سواء يدوية أو نصف آلية، إنما تتسم بالتكامل. ثم لابد من وضع خطط تسويقية لتلك المنتجات، فالتسويق عادة هو نقطة الاختناق الأهم في الأمر كله.

أما عن صيغ التمويل في النظام الاقتصادي الإسلامي فيمكننا التمييز بين مصدرين أساسيين:

1) مساهمة الدول من خلال بيوت المال فيها أو ما يسمى بوزارة الخزانة، حيث يُعهد لبيت المال الإنفاق على من هو في حاجة وقد قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه النماذج الفريدة. وقد سُئل واضع نظام الضمان الاجتماعي في النرويج التي تتميز بأفضل تلك النظم في العالم وقد بلغ من العمر عِتياً، من أين لك هذا؟ فقال: من عمر بن الخطاب! لقد بخسنا حق تاريخنا بخساً شديداً!!
2) مساهمة المجتمع بأفراده من خلال نظامي الزكاة والوقف.
3) وأخيراً مساهمة المصادر الخاصة كالمصارف الإسلامية وشركات التمويل الصغير وبعض مؤسسات الأفراد والتي تقدم المال بصيغ إسلامية محققة تنمية مجتمعية واضحة وفي أسوأ الحالات هي تبتعد عن ظلم من هو بحاجة للمال. وفي كل خير.